

رأيت الجميل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مجمل الوجود بأجمل موجود وصلى الله وسلام وبارك على مجمع الجمال وسيد الرجال
سيّدنا محمد صلّى الله عليه وآلـه وسلام.

أما بعد،

فإنّ الحديث عن الجمال ممّا شغل أذهان الكثير من البشر على مز العصور، لما في معناه من التشعّب والاتساع وصعوبة التحرير مع اتحاد المنطلق في كونه معنى سامي وراقي تتطلّع إليه النفوس السوية وتعلّق به القلوب الطاهرة الزكية وينشغل به كلّ صاحب ذوق.
ولعلّ قدرة الإنسان على تذوق معنى الجمال من دلالات كمال إنسانيته وصفاء آدميته، لما في ذلك التذوق من الارتباط المباشر بحياة باطن الإنسان وإدراك قلبه للمعنى السامي الذي في قدرته على إدراكتها سرّ تميّزه عن غيره من المخلوقات.

وللجمال المبثوث في هذا الوجود دور يتعدّى التلذذ بإدراكه وتذوقه، وهو أنّ الجمال باب إلى الجميل، فإنّ الصنعة تدلّ على الصانع والمخلوق باب للتعرّف على الخالق، وفي الحديث الشريف الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه "إنّ الله جميـل يحبـ الجمال".
ولمحبـ الجمال في التعامل معه شؤون تعلّق بارتباطه بالجميل سبحانه وتعالى، فالبعض يستدلّ بالجمال على الجميل والبعض يستدلّ بالجميل على الجمال، ومقتضى الأخير أن يستحيل الوجود كله له جمالا، لعلمه أن الصنعة لا تنفك عن صانعها فمن كان وصفه الجمال لا يصنع إلا جميـلا.
وممّا ذكر في هذا المعنى قول الشيخ عبد الكـريم الجـيلـي رضـي الله عنهـ في قصـيدـته العـينـية:

وكلُّ قـيـح إـنْ نـسـبـتـ لـحـسـنـه ... أـتـتـكـ مـعـانـيـ الـحـسـنـ فـيـهـ تـسـارـعـ
يـكـمـلـ نـقـصـانـ الـقـيـحـ جـمـالـهـ ... فـمـاـ تـمـ نـقـصـانـ وـلـأـ ثـمـ بـاـشـعـ.

وتتفاوت المخلوقات والمصنوعات في قابلـيـتها لتكون مظـهـرا لـجمـالـ الصـانـعـ الجـمـيلـ سـبـحانـهـ وـتعـالـيـ بـقـدرـ ماـ أـوـجـدـ فـيـهاـ مـنـ الـاسـتـعـادـ، فـكـماـ أـنـ الـجمـالـ يـسـيـ فيـ جـمـيـعـ الـمـخـلـوقـاتـ فـبـعـضـهاـ أـكـمـلـ وـأـجـمـلـ مـنـ بـعـضـ، وـأـجـمـلـ مـاـ خـلـقـ اللـهـ سـبـحانـهـ وـتعـالـيـ هوـ مـجـمـعـ الـجمـالـ سـيـّدـناـ وـمـوـلـانـاـ مـحـمـدـ صـلـّىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـامـ الـذـيـ وـصـفـهـ الصـحـابـيـ الـجـلـيلـ سـيـّدـناـ حـسـانـ بـنـ ثـابـتـ بـقـولـهـ:

وأـجـمـلـ مـنـكـ لـمـ تـرـىـ قـطـ عـيـنـ ... وـأـكـمـلـ مـنـكـ لـمـ تـلـدـ النـسـاءـ
خـلـقـتـ مـبـرـئـاـ مـنـ كـلـ عـيـبـ ... كـانـكـ قـدـ خـلـقـتـ كـمـاـ تـشـاءـ.

وقد ذكر المشايخ استدلالاً لطيفاً على كونه صلى الله عليه وآله وسلم أجمل خلق الله، وإن كان القلب السليم لا يحتاج على ذلك دليلاً.

والاستدلال هو تعاقب مقدمتان يوصلان إلى نتيجة، فالمقدمة الأولى حديث الإمام مسلم "إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ" ، والمقدمة الثانية ما هو معلوم من أنَّ أَحَبَّ خَلْقَ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ سَيِّدُنَا إِبْرَاهِيمَ بْنَ عَبَّاسَ "مَا خَلَقَ خَلْقًا وَلَا بِرًا أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" . فإذا كان الله يحب الجمال، وسيّدنا محمد هو أحب الخلق إلى الله، فسيّدنا محمد هو أجمل خلق الله سبحانه وتعالى.

وإذا كان الحبيب أجمل خلق الله سبحانه وتعالى فأوصافه هي أجمل الأوصاف، وأخلاقه أجمل الأخلاق، وأقواله أجمل الأقوال، وأفعاله أجمل الأفعال.

ومن تذوق شيئاً من الجمال الموعود في الحبيب الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أدرك سرارة هذا الجمال في كلّ ما جاء عن حضرته، فيفتح له باب من تذوق جمال الشرع الشريف والسنّة الكريمة المطهّرة، وتنتقل متابعته للحبيب صلى الله عليه وآله وسلم من محض مشقة وتكليف إلى تلذّذ بالجمال وتطلّع للكمال، وفرق كبير بين الحالين.

نَسَأَلُ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يُذِيقَنَا مِنْ هَذَا الْجَمَالِ الْأَقْدَسِ وَيُشَهِّدَنَا هَذَا النُّورُ الْأَسْنَى وَيُفْتَحَ لَنَا بَابُ الْمَتَابِعَةِ لَهُ عَلَى بَصِيرَةٍ وَذُوقٍ إِنَّهُ وَلِيَ ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ آمِينٌ.

بِقَلْمِ / أَحْمَدْ سَيِّفُ الدِّينِ شَرِيفٍ